

العنوان:	رياضة النفس لدى الشيخين الحارس المحاسبي و أبو حامد الغزالي
المصدر:	مجلة كلية التربية بالمنصورة
الناشر:	جامعة المنصورة - كلية التربية
المؤلف الرئيسي:	عيسى، السيد محمد رمضان
مؤلفين آخرين:	ياسين، إبراهيم إبراهيم، عبدالرحمن، السيد محمد(مشرف)
المجلد/العدد:	ع 77, ج 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2011
الصفحات:	136 - 198
رقم MD:	114288
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	الأخلاق الإسلامية، الغزالي ، محمد بن محمد ، ت . 505 هـ .، المحاسبي ، الحارث بن أسد ، ت. 243 هـ .، الرياضة النفسية، أمراض القلب، الأمراض النفسية، التربية الأخلاقية، التوبة، الصبر، الخوف، الزهد، التصوف، المجاهدة، مراتب النفس، محاسبة النفس
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/114288



جامعة المنصورة
كلية التربية

رياضة النفس لدى الشيخين الحارس الحاسبي وأبو حامد الغزالي

إعداد

السيد محمد رمضان عيسى

لنيل درجة ماجستير الآداب تخصص فلسفة إسلامية

إشراف

أ.د إبراهيم إبراهيم ياسين

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف

المتفرغ ورئيس قسم الفلسفة الأسبق

كلية الآداب - جامعة المنصورة

د. السيد محمد عبد الرحمن

أستاذ مساعد الفلسفة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة المنصورة

مجلة كلية التربية - جامعة المنصورة - العدد ٧٧ - الجزء الأول - سبتمبر ٢٠١١

رياضة النفس لدى الشيخين الحارث الحاسبي

وأبو حامد الغزالي

السيد محمد رمضان عيسى

مقدمة:

لا شك أننا في وقتنا المعاصر نحتاج إلى إعادة ترتيب منظومة القيم في حياتنا النفسية في ضوء وحي الأديان ومعارف الإنسان وذلك من خلال الدراسات التي قدمها كلا من الشيخين الحارث الحاسبي (ت ٢٤٣هـ) وتلميذه أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في رياضة النفس. ويتضمن هذا الفصل كيف تتم الرياضة النفسية سواء رياضة الأدب أو رياضة الطلب وتهذيب الأخلاق وعلاج أمراض القلوب والنفوس بالرياضة والمجاهدة عن طريق: العزلة، والجوع، والصمت، والذكر، والتوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والفقر والزهد. ثم يتناول الباحث التربية النفسية التي تشتمل على التعليم وتكوين الملكات الخلقية والعقلية وآداب التربية وتنزيكية النفس بالمراقبة والمحاسبة، ثم نعرض للسير القلبي إلى الله والانتقال إلى النفس المزكاة وسرد خطوط متقابلة في النفس البشرية ما بين الحب والكره وتربية الروح والعقل وتأديب المرید وصولاً للقيم العليا والنظافة النفسية والتطهير الروحي.

التعريف بالشيخين:

الشيخ المحاسبي:

يقول زيد شاكر في ترجمته للإمام المحاسبي (1) :

أعظم أئمة عصره وهو العارف بكل الأمور، هو الإمام الصوفي العابد عالم الشريعة الأول، والمعلم القانوني الأول، يمتلك مفاتيح السعادة والتعاسة، يضحكهم ويكيهم ويستطيع تغيير أحوالهم النفسية بكلمات منطقية وعلمه الكبير ويقوم سلوكك ويساعدك على الاستقامة والإصلاح وغيرها من الأمور التي تقودك إلى الخلاص النفسي.

ولكي نفهم الحقائق النفسية (2) : التي يقوم عليها المعلمين من خلال الهيكل الاجتماعي

أو البناء النفسي للطلاب، هذا الحوار بينهم يقوم على المبادئ الأساسية للاستقامة، وتدخل في إطار العمليات النفسية الموجهة والتي تحوي الخشوع.

الإمام الغزالي (3) :

عالم مسلم لاهوتي روحاني وفيلسوف وفقه وعالم كوني، من الأوائل الذين أحيوا السنة الإسلامية، استطاع تغيير منهج الفلسفة الإسلامية الأولى وأن ينقل طريق الفلسفة الميتافيزيقية إلى منهج يرجع الأحداث إلى سبب واحد وهو الرب.

(1) Imam Harith al Muhasibi : Imam Zaid Shakir (translator): publisher: New Islamic Directions (2008) Page:249 Binding paper back.

(2) Translated in Suleiman Ali Mourad, Early Islam between myth and history (Brill,2006) 128: from Khalwa,24.

Mourad 128-9 cites Abil-Dunya. Dhamnal- dunya,146# 341: Ibnal- Arabi quotes from that (hide).

(3) From Wikipedia, the Free encyclopedia for the influential Egyptian Islamic Scholar who lived from 1917–1996, See Mohammed al- Ghazali (Algazel).

وحدد الغزالي ثلاثة اتجاهات تؤدي إلى النقاء وهي الصوفية والرمزية والباطنية من خلالها

يكون الإنسان روحاني النزعة.

أولاً: الرياضة النفسية^(١):

النفس إذا تركت دون تهذيب وتربية وتأديب، انحرفت عن الاستقامة وسارت في طريق الغواية، وابتعدت عن السواء وتزاحمت عليها الخواطر المدمومة، واستبدت بها الكبرياء، وغلبها الرياء، فتدور في فلك الأهواء وأحالتها الخوف إلى الحقد والحسد، وبذلك تنجح سفينة النفس فلا تنتشل من ضياعها إلا برحمة الله.

يرى بعض الأئمة أن الفساد يدخل إلى النفس من جهات ثلاثة: سقم الطبيعة الإنسانية المنحرفة، وملازمة العادات المرذولة، فساد الصحبة وهو ترجمة لغواية الشيطان والرغبة في فعل المنكرات وإتباع الشهوات.

ولا يستبين الإنسان آفات نفسية إلا بامتحنها فيما تدعيه من حق وصدق وعدل، ولعلاج هذا النقص فطمها عن العادات المألوفة والشهوات المرذولة ، واللذات المحرمة وحملها على مخالفة ما تموى، وإحكام لجامها بالتقوى والخوف من الله.

والرياضة النفسية مجاهدة للنفس لا تتم إلا بالمراقبة وهي أن تعلم أن ربه يطلع على سره ولن يصل إلى تمام المراقبة إلا بعد المحاسبة التي هي ضبط لجنوح النفس والتزام طريق الحق وحفظها من الآفات.

(١) حسن محمد الشرقاوي: نحو علم نفس إسلامي، الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٦، ص ٢٥٣، ٢٥٠

والرياضة النفسية لا تتم إلا بمعرفة خصال أربع: معرفة الله تعالى والإيمان أن لا إله إلا الله قولاً وعملاً ، ومعرفة عدو الله إبليس والتعوذ الدائم من وسوسة الشيطان، ومعرفة أن النفس أمانة بالسوء، معرفة العمل لله تعالى.

يحدد بعض الأئمة الطريق العملي للرياضة النفسية في عشرة خصال/ أن لا يخلف الإنسان صادقاً ولا كاذباً، أن يتجنب الكذب هزلاً أو جدلاً، أن يتجنب أن يخلف وعده، ألا يؤدي أو يطعن أحداً من الخلق، ألا يدعو على أحد من الناس وإن ظلمه ليبقى قلبه متطهراً، أن لا يحكم على أحد بالشرك أو الكفر أو النفاق خوفاً من الوقوع في الإثم، أن يتجنب النظر والهمة إلى المعاصي، أن يتجنب ما استطاع أن يحمل الناس حاجته حتى تتصور النفس الخمول والإهمال، أن ينقطع عن الطمع في نفسه وفي الخلق، أن يتواضع وهو أصل الطاعات وكمال التقوى.

يقول الإمام عبد القادر الجيلاني في فتوح الغيب^(١): "كلما جاهدت نفسك وغلبتها وقتلتها بسيف المخالفة أحيها الله، لذا كانت الرياضة النفسية قمعا دائماً وطريقاً واضحاً في معالجة أمراض القلب وباباً إلى الصحة النفسية للخلاص من التناقض والآفات".

وسوف نعرض للرياضة النفسية في النقاط التالية:

١- رياضة النفس^(٢):

بنظر الصوفية إلى النفس باعتبار منبت الشر ومنبع الأخلاق الدنيئة، والأفعال الذميمة، وقاعدة رياضة النفس تتحقق بمنعها عن كل ما تتوق إليه وتشتهيه وخاصة من الأشياء التي ألفتها.

(١) عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب، نقلاً عن حسن الشرقاوي (الدكتور): المرجع السابق، ص ٢٥٤، ٢٥٦.

(٢) نفس المرجع السابق: ص ٢٥٤، ٢٥٦.

والرياضة الروحية^(١) : ذكر دائم أي تذكر له سبحانه في كل لحظة ونفس، وهي اتجاه بكل الأعمال

إلى الله، وهي هجرة لا تنقطع إليه سبحانه، وهذه المعاني يلخصها الإمام الغزالي فيقول:

"إن الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرف النور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانتشع عن وجه القلب، حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتألأت فيه حقائق الأمور الإلهية".

والرياضة الروحية التي تتخذ الله هدفها والتي تتمثل في وضوح الهجرة إلى الله والذهاب إليه سبحانه، والفرار إليه جل وعلا، الإرادة والرياضة لتحقيق المعنى الجليل للآية القرآنية: (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ) (النجم: ٤٢).

(فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (الذاريات: ٥٠).

والإنسان يفر إلى الله، من الكفر إلى الإيمان، ومن الطاعات إلى القربات، ومن نفسه إلى ربه.

أ- كيف تتم رياضة النفس^(٢):

يرى الأئمة أن الرياضة كسلوك واجب التطبيق يجب أن يسارع إليه الإنسان مجاهداً ويتحدد ذلك في قسمين:

(١) فوزي أبو زيد: الفتح العرفاني، دار الإيمان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ص ١٣

(٢) إبراهيم إبراهيم ياسين: مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار ومكتبة الإسراء، طنطا، ٢٠٠٥م، ص ٢١٩.

(١) - رياضة الأدب: وتتم مخالفة أهواء النفس وحفظها، وهذا النوع من الرياضة يسعى إلى سلب الأوصاف المذمومة كالكبر والغرور والرياء والشرك الخفي والتعجب.

(٢) - رياضة الطلب: تحدد بالإخلاص والصدق في مجاهدة النفس وذلك بتحليلتها بالأوصاف المحمودة كالمحبة والشفقة والرحمة والتسامح والإيثار.

يبين الإمام الغزالي الأسلوب الواجب إتباعه في رياضة النفس فيقول: إن كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، ذلك لأنه عن طريق الاعتقاد والتربية والتعليم تكتسب الفضائل والرذائل، وعلاج أمراض النفس إنما يكون بالضد. وسوف توضح كيفية رياضة النفس وتهذيبها فيما يلي:

(أ) رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب^(١) :

العناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب، إذ لا يخلو قلب من القلوب من أسقام، لو أهملت تراكمت، وترادفت العلل، فيحتاج العبد إلى تأنيق في معرفة عللها وأسبابها، ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها، فمعالجتها هو المراد بقوله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) وإهمالها هو المراد بقوله: (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس:٩).

(ب) قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة^(٢)

لن ترسخ الأخلاق الدنيئة في النفس، ما لم تتعود جميع العادات الحسنة، وما لم تترك الأفعال السيئة، وكلما كانت العبادات أكثر كان الثواب أجزل، والنفس أذكى وأطهر، والأخلاق أقوى وأرسخ.

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، عطية يوسف زهري، كتاب الشعب، الجزء الثامن، بدون، ص ١٤٢٦.

(٢) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج٨، ص ١٤٣٨: ١٤٥١.

وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا، ويرسخ فيها حب الله تعالى.

والنفس تخلق ناقصة تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم، والأصل في المجاهدة الوفاء

بالعزم، فإذا عزم على ترك شهوة تيسرت أسبابها فينبغي أن يصبر ويستمر.

الرياضة النفسية^(١) إذن طريقة عملية واقعية لعلاج أمراض النفس تستخدم أسلوباً مرحلياً في

المعالجة بالتعود على ممارسة الفضائل وتجنب الرذائل.

ويبين الإمام الشعراي في الأخلاق المتبولىة كيف تتم الرياضيات النفسية فيقول: " والمعروف عن

أخلاق المريدين في طريق الصوفية مجاهدة نفوسهم وذلك بالجوع والسهر، وإتباع نفوسهم بتحمل

الأعمال الشاقة في بداية أمرهم بطريقة شرعية حتى إذا بلغوا النهاية المعروفة لدى الصوفية كان الأدب

مع الله "

ومن الأمثلة الطريقة للرياضة النفسية^(٢):

أن أحدهم أراد أن يعود نفسه على التحكم وكظم الغيظ استأجر من يشتبهه على ملاً من

الناس، كما يروي عن أحدهم أراد أن يعود نفسه على الشجاعة كان يسافر بحراً في الشتاء، كما أن

أحدهم كان يجد نفسه خمولا في العبادة وكسلا عن قيام الليل للصلاة فألزم نفسه بأن يقف على رأسه

طوال الليل عقاباً له. ولا تنجح تلك الرياضة دون طلب المدد والعون من الله ودون الصلاة والخشوع

والفناء في محبة الله ركوعاً وسجوداً وهنا تحدث المعجزة فيتبدل القلق سكيناً والفرع طمأنينة والنواقص

النفسية كمالات.

(١) حسن محمد الشرقاوي: مرجع سابق. ص ٢٦١.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٦٢، مقدمة الكتاب.

٣. المجاهدة:

كيفية مجاهدة النفس؟^(١):

المجاهدة في الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع (الجرجاني)، ويذكر القشيري أن أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات.

ويقترن جهاد النفس بإزالة الأخلاق الذميمة، ومخالفة النفس رأس جميع العبادات وكمال كل المجاهدات (المجويري).

لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة، ما لم يمنع نفسه عن التمتع بالمباح، فإنها إذا لم تمتنع بعض المباحات، طمعت في المحظورات، فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول، فحقه أن يلزمه السكوت خلا عن ذكر الله.

كذلك لا تألف النفس ربحاً ولا تأنس بذكره، إلا إذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة ثم عودت الثناء والذكر والدعاء في الخلوة حتى يغلب عليها الأناجى بذكر الله، قال عز وجل: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال: ٢) إلى قوله تعالى: (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) (الأنفال: ٤).

ومجاهدة النفس تسير على نهج السابقين وتعتمد على مولاه، وتستمد من الله كل حوله لأن الإنسان لا يستطيع أن يجاهد أي حقيقة في داخله إلا إذا من عليه مولاه بعونه وبتوقيفه^(٢).

(إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) (يوسف: ٥٣)

(١) إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابق، ص ٢٢٠.

(٢) فوزي محمد أبو زيد: مرجع سابق، ص ٨١، ص ٨٦.

قال الصالحون: " أول علامة من علامات تزكية النفس أن يغير المرء صفاتها إلى الأفضل

والأكمل".

التحقق بكمال العبودية^(١):

ولا يتم إصلاح عيوب النفس وإصلاح ما طرأ في الأكوان على القلب وإطلاق الروح من سجونها وعقالها إلا بالتحقق بكمال العبودية، فإذا تخلق بأخلاق العبودية، استطاع أن يوفي لله عز وجل بحقوق الربوبية.

وتلخيصاً لما سبق علينا بأربع:

الإيمان الخالص الذي لا يشعر به ظلم، والتوبة النصوح التي علامتها الزهد، والزهد حتى يصل فيه إلى مقام أن يزهد في غير مولاه، ثم يتحقق بمقام العبودية، فينظر إلى أوصاف الله عز وجل ويتخلق بأضدادها، ويستعين على ذلك بأربع هي: الإقلال من الكلام، والإقلال من الطعام، والإقلال من المنام، والإقلال من مخالطة الأنام.

ويقال^(٢): الدرجات حسب المجاهدات:

ذكر الله بقلبه، المحافظة على الفرائض في وقتها في جماعة في بيت الله، الاستغفار، النوافل، قيام الله، الأذكار، ورد القرآن، الصيام، كف النفس عن الذنوب والعيوب، سلامة الصدر، الدعاء، الإنفاق، الكف (اليدين، اللسان)، (ادفن نفسك في أرض الخمول، حتى تشرق عليك أنوار الوصول). (اجعل البدن للأكوان ولبنى الإنسان ولا تجعل في القلب ذرة لغير الرحمن عز وجل).

(١) المرجع السابق، ص ١١٧: ص ١١٩.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ١٣٠: ص ١٤٣.

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)

(الأعراف: ٢٠١).

فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر، أنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب

الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى.

والقلب متجاذب بين الشيطان والملك^(١)

قال (صلى الله عليه وسلم) " في القلب لمتان لمة من الملك إبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد

ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه ويحمد الله، ولمة من العدو وإبعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن

الخير فمن وجد ذلك فليستعد بالله من الشيطان الرجيم" (من حديث ابن مسعود).

وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين فامتألت بالوساوس ومبدأ استيلائها إتباع الشهوات

والهوى، ولا يمكن فتحها إلا بتخلية القلب من قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات، وعمارته بذكر

الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة.

تزكية النفس وقواها وأخلاقها:

يقول الإمام الغزالي: " فإن ساعدك التوفيق، وانبعث من نفسك داعية الاستتمام، توصلت إليه

بالمجاهدة، ولا يمكنك معرفة ما تطلبه، إلا بأن تعرف أولاً نفسك وقواها وخواصها، والمجاهدة معالجة

النفس بتزكيته لتفضي إلى الفلاح".

وقيل: اعرف نفسك يا إنسان، تعرف ربك، وأعرفكم بنفسه، أعرفكم بربه^(٢). ومن جهل

نفسه، فهو بغيره أجهل.

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٨ و مرجع سابق، ص ١٣٨٦.

(٢) الإمام الغزالي: ميزان العمل، حققه سليمان دنيا (الدكتور)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ ص ١٩٨: ص ٢٠٠.

ويذكر لنا الإمام في بيان مراتب النفس في مجاهدة الهوى ثلاثة أحوال: الأولى: أن يغلبه الهوى، فيملكه، ولا يستطيع له خلافاً، وهو حال أكثر الخلق. الثانية: أن يكون الحرب بينهما سجالاتاً. تارة لها اليد، وتارة عليا اليد. فهذا الرجل من المجاهدين.

الثالثة: أن يغلبه هواه، فيصير مستولياً عليه، لا يقهره بحال من الأحوال، وخذا هو الملك الكبير، والنعيم الحاضر، والحرية التامة، والخلاص من الرق^(١).

والمقصود من المجاهدة، والرياضة، بالأعمال الصالحة^(٢): تكميل النفس وتزكيتها وتصفيتها؛ لتهديب أخلاقها.

فإذا الطريق إلى تزكية النفس، اعتاد الأفعال الصادرة من النفوس الذاكية الكاملة، حتى إذا صار ذلك معتاداً، بالتكرار مع تقارب الزمان، حدث منها هيئة للنفس راسخة،... بحيث يصير ذلك له بالعادة، كالطبع، فيخف عله ما كان يستثقله من الخبر.

فمن أراد أن يحصل لنفسه خلق الجود، فطريقة: أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال. وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع فطريقة في المجاهدة أن يواظب على أفعال المتواضعين.

والعلة المغيرة للاعتدال^(٣): الموجبة للمرض، لا تعالج إلا بضدها، فعلاج الجهل بالتعلم، والبخل بالتسخي، والكبر بالتواضع، والشر بالكف عن المشتهي.

(١) المرجع السابق، ص ٢٤١، ٢٤٠

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٥٢، ٢٥١

(٣) الإمام الغزالي: ميزان العمل، مرجع سابق، ص ٢٥٤، ص ٢٦٢.

والغرض أن تنظر أيها المتشوق إلى تركية نفسك في أخلاقك فإن كانت مهذبة فأحفظها، وإن كانت مائلة فقومها بالرد إلى حد الاعتدال.

في ماهية السير القلبي إلى الله^(١):

لا يصل القلب إلى أن يكون مؤمنا خالص الإيمان إلا إذا وصل إلى معرفة الله معرفة ذوقية قلبية صافية، والإنسان بقدر معرفته بالله، والتلقي الكامل عن الله والعمل بشريعته وأخذ كتابه بقوة ذلك مقتضى صلاح القلب.

إن السير القلبي يعني الوصول إلى الإيمان الخالص ومعرفة الله الكاملة، والعلم هو الطريق لصلاح القلب وإصلاحه فأهل العلم هم الذين يخرجون من إلقاءات الشيطان بخشوع أكثر ويفين أعلى وإيمان أرقى.

السير إلى الله^(٢):

يعني الانتقال من نفس غير مزكاة إلى نفس مزكاة ومن عقل غير شرعي إلى عقل شرعي، ومن قلب كافر أو منافق أو فاسق أو مريض أو قاس إلى قلب مطمئن سليم، ومن روح شاردة عن باب الله إلى روح عارفة بالله، ومن جسد غير منضبط بضوابط الشرع إلى جسم منضبط بشرعية الله عز وجل، والوصول إلى القلب السليم المطمئن هو ذروة السير إلى الله.

وتركية النفس^(٣) : تحتاج إلى مزك وتحتاج إلى مجاهدة من قبل صاحبها، وهذا يقتضي علما بكاملات النفس ونقائصها وعلما بطريق التحقق في الكمالات وطرق التخلص من النقائص وكل ذلك هو أحد مجالات علم التصوف الرئيسية.

(١) سعيد جوي : تربيتنا الروحية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص ٨٢

(٢) المرجع السابق: ص ٦٤.

(٣) سعيد جوي: المرجع السابق، ص ٥٣.

عندما تأخذ كلمة " لا إله إلا الله" ^(١) مداها في القلب فإنها تحرق كل الأمراض وتوجد في القلب

أخلاقا لها ثمراتها في السلوك كالحبة لله والإخلاص والخوف منه والتوكل عليه.

وبقدر خفوت نور التوحيد تظهر أمراض العجب والرياء والحسد والكبر والغرور وغير ذلك من الأمراض.

وهناك أمراضا في القلب متى وجدت تحول دون وصول الأتوار إلى القلب، وهذا يقتضي عملية استكشاف لهذه الأمراض وسير في طريق التخلص منها وحمل النفس على معان أخرى.

ومن علل هذه الأمراض منها ما هو فكري ومنها ما هو نفسي، والفكر علاجه العلم والتأمل، والنفس علاجها المجاهدة وهي الانبثاق الأول عن ركني السير إلى الله وهي الذكر والعلم.

وأركان المجاهدة: العزلة والصمت والسهر والجوع. إذن السير إلى الله: انتقال في النفس من حالة دنيا إلى حالة أرقى وعلم صحيح بالله، ويقول ابن عطاء: " لولا ميادين ما تحقق سير السائرين، وصولك إلى الله، وصولك إلى العلم به وإلا فجل ربنا أن يتصل به شيء ، قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه".

منهج تربية النفس :

١- إماتة النفس ومجاهدتها ^(٢) The nafs

ينظر نيكلسون إليها على أنها الجسد وأنها مستقر الشهوة والهوى كما أنها مرادفة للشيطان وأعوانه وكما يصفها النبي (صلى الله عليه وسلم) أعدى أعداء الإنسان.

ويظل مبدأ مقاومة النفس وإماتتها، ومقاومة عواطفها وشهواتها، وأن تصرف النفس صرفا عن الأشياء التي اعتادت عليها، وتغري على مقاومة أهوائها، وهدم كبريائها، وتوقع في الشدة والحن للتعرف على وضاعة طبعها الأصيل وعدم طهارة أعمالها ^(٣).

ويرى نيكلسون أن هناك الكثير مما يمكن كتابته عن طريق المجاهدة التي بها يمكن كبح جماح النفس وسوقها على غير هواها، وإماتتها كالصوم، والصمت والخلوة والعزلة، وهو تهذيب أخلاقي ضروري للنفس به يكتمل الطريق.

(١) المرجع السابق: ص ١١٣.

(٢) نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابق، ص ١٤١.

(3) Mystics of Islam, p.38-39.

رياضة النفس عند نيكلسون^(١) : فتقترن بتغيير معنوي لباطن الإنسان، وحين يقول الصوفية " مت قبل أن تموت: فهم لا يريدون نخطم النفس الشهوانية بل تطهيرها من صفاتها التي هي ليست إلا شرا خالصا كالجهل والكبر والحسد والبخل، وهذه الصفات تستبدل بمضاداتها، فإذا سلم الصوفي مشيئته لله وجمع فكره على الله " يكون الموت للنفس حياة بالله".

إن الرياضات الروحية التي اتبعتها صوفية المسلمين لتقويم وتطهير نفوسهم هي من الأصالة لعلاج الأمراض النفسية التي يعاني منها الجيل المعاصر^(٢).

ومن رياضات تقويم النفوس وعلاج أمراض القلوب^(٣):

٢- العزلة:

تعد العزلة وعي عميق بالأنا، وأفضل ما فيها أنها تمثل حالة عليا من حالات الأنا، ودرجة الانفصال فيها لا تكون عن الله والعالم الإلهي وإنما تكون من الروتين " الاجتماعى اليومي للعالم الوضيع" وأن هذه أحد مراحل النمو الروحي للإنسان، لقد جاءت العزلة في القرآن الكريم لتعلي من شأنها عندما تكون في حماية الأنا من طغيان الأنا وفساد الآخر.

فقد اعتصم خليل الله إبراهيم (عليه السلام) بالعزلة، قال تعالى (فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) (مریم: ٤٩).

(١) نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابقو ص ١٤٢.

(٢) إبراهيم إبراهيم ياسين، تجديد الرياضات الروحية ومجاهدة النفس في التصور الإسلامى، الناشر عامر، المنصورة، ١٩٨٩، ص ٣

(٣) المرجع السابق: ص ٢٢٦، ص ٢٢٦، ص ٢٢٨.

وفي قصة أهل الكهف الدليل القاطع على أن العزلة بالنجاة من أهل الباطل لقوله تعالى: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا) (الكهف: ١٦).

وفي قصة موسى ما يشير إلى اعتزاله قومه حين ظهر له عنادهم، قال تعالى: (وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ) (الدخان: ٢١، ٢٠).

وجاءت العزلة في القرآن بمعنى العكوف على العبادة في المساجد (أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (البقرة: ١٢٥).

وكذلك الكف عن ارتكاب أعمال مشروعة في غير أوقات العكوف ومحرقه وقت العكوف، (وَلَا تُبَاسِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) (البقرة: ١٢٥).

والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء وعصمة الأولياء وسيرة الحكماء، وتبدو العزلة واجبا على المسلم عندما يصبح الناس وقد اعتادوا نقض عهودهم وعدم الوفاء بأماناتهم وتكون الخيانة والغدر من شيمهم، وفي هذا المجال يجوز التحلي عن مخالطة العامة لعظيم ضررهم.

● فوائد العزلة^(١):

- ١- التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى، ويرى أبو حامد الغزالي أن العزلة كانت وسيلة النبي (صلى الله عليه وسلم) في البعد عن الاشتغال في التفكير في مخالطة الناس.
- ٢- التخلص من المعاصي كالنميمة والغيبة والرياء والسكوت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعزلة تمكن من النجاة من الأمور المهلكة للدين.

(١) إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابق، ص ٢٣١.

٣- الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوص فيها والتعرض لأخطارها فالمعتزل عنهم في سلامة منهم.

٤- الخلاص من شر الناس من الغيبة وسوء الظن والأطماع، قال عمر (رضي الله عنه) "وفي العزلة راحة من قرين السوء".

٥- أن ينقطع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فإن رضا الناس غاية لا تدرك، قال تعالى: (ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ) (الحجر: ٨٨)

٣- الجوع وكف الشهوة^(١) :

يعتبر من أركان مجاهدة النفس ووسيلة من وسائل التصفية في طريق الوصول إلى الكمال الروحي وهو إمساك عن الأكل ومغريات الشهوة، وابتعاد عن كل ما يشكل حجاباً روحياً وفكرياً.

وشهوة البطن هي مما يعوق الفهم ويعطل الفكر ويقود إلى مهاوي الرذيلة لذلك كان الإمساك عن الطعام بقصد تفجير ينابيع الحكمة في النفس. فالجوع يعمر الباطن والشبع يعمر البطون، والجوع طعام الصديقين ومسلك المريدين وقيد الشياطين بعد قضاء الله وقدره.

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ١٥٥). فالصبر على الجوع ابتلاء يهذب النفس ويطهر البدن ويفتح باباً بين العبد وربّه، يقول الكتاني: "من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء: نومه غلبة، وكلامه ضرورة، وأكله فاقة".

• فوائد الجوع^(٢) :

(١) إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابقو ص ٢٣٤.

(٢) الإمام الغزالي إحياء علوم الدين، ص ١٤٩٢، ص ١٤٩٩.

- ١- صفاء القلب، وإبقاء القريحة، وانفاذ البصيرة، قال أبو سليمان الداراني: عليك بالجوع، فإنه مذلة للنفس، ورقة للقلب، وهو يورث العلم السماوي.
 - ٢- رقة القلب وصفائه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المثابرة، والتأثر بالذكر قال أبو سليمان: إذا جاع القلب وعطش، صبا ورق.
 - ٣- الانكسار والذل، وزوال البطر والفرح والأشر، فلا تنكسر النفس ولا تذلل بشيء كما تذلل بالجوع.
 - ٤- أن لا ينسى بلاء الله وعذابه، ولا ينسى أهل البلاء أن أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل.
 - ٥- كسر شهوات المعاصي كلها، فالجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام، فيتخلص من آفات اللسان.
 - ٦- دفع النوم، ودوام السهر، ففي كثرة النوم ضياع العمر، وفوت التهجد، وبلادة الطبع وقساوة القلب.
 - ٧- تيسير المواظبة على العبادة، فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل.
 - ٨- يستفيد من قلة الأكل صحة البدن، ودفع الأمراض، ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر.
 - ٩- خفة المؤنة، فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير، وكان إبراهيم بن أدهم يسأل أصحابه عن سعر المأكولات،- فيقال إنها غالية، فيقول أرخصوها بالترك.
 - ١٠- أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته.
- وأما الآثار^(١): فقد قال عمر (رضي الله عنه) إياكم والبطنة، فإنها ثقل في الحياة، نتن في الممات.
- وقال شفيق البلخي: العبادة حرفة، حانوتها الحلوة، وآلتها المجاعة، وقال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخسرت الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

(١) الإمام الغزالي إحياء علوم الدين، مرجع سابق.

وكان الفضيل بن عياض ^(١) يقول: إلهي أجمعني وأجمع عيالي، وتركتني في ظلم الليالي بلا

مصباح، وإنما تفعل ذلك بأوليائك، فبأي منزلة نلت هذا منك؟

وقال يحيى بن معاذ: جوع الراغبين منبهة، وجوع التائبين تجرية، وجوع المجتهدين كرامة، وجوع

الصابرين سياسة، وجوع الزاهدين حكمة.

ويبدو أن الجوع طريقا موصلا إلى الله سبحانه وتعالى لأنه ينبه مراكز الروح ويقوي الملكات التي

تعين الإنسان على عبادته وطاعته.

ويذكر الهجويري ^(٢): "إن الجوع شرف كبير وهو محمود عند الأمم والممالك لأن خاطر الجائع

تكون قريحته أكثر تهديبا، ومن هيأوا أنفسهم بالرياضة لا يكون لهم شره كبير لأن الجوع للنفس

خضوع وللقلب خشوع، فجسد الجائع خاضع وقلبه خاشع".

ومن أهم المعاني النفسية المصاحبة للجوع أن القلب يصفو بالجوع، والنفس تشتد بالشبع وهكذا

يقترن الجوع بضعف الهوى وقوة العقل؟، وانتشاع الحجب ووضع البراهين وظهور الأسرار، واتصال

الطاعة.

(١) المرجع السابق، ص ١٤٩٠.

(٢) إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابق، ص ٢٣٧.

٤ - الصمت:

لاحظ الصوفية المعتدلين من أمثال أبو نصر السراج، وأبو القاسم القشيري، وأبو الغزالي وغيرهم أن آفة اللسان تنطلق في الكذب، والنفاق، والرياء، والخوض في الباطل، وفي الجدال والخصومة، وفي الفحش والسب واللعن، والفناء، والشعر، والمزاج، والغيبة والنميمة.

وقد يكون مركب الخير والداعي إليه والخاص على ترك المحرمات، والذاكر له، فباللسان يقرأ القرآن ويرفع الدعاء وتتم الصلاة.

ومن هنا يرى الكثيرون أن الصمت وسيلة فعالة للنجاة من آفات اللسان، والصمت في القرآن الكريم نوع من الصوم والقنوت والخضوع للأمر الإلهي، قال تعالى: (فَأَمَّا تَرِينٌ مِّنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) (مریم: ٣٦)، والصمت آية من آيات الله التي بشر بها الله نبيه زكريا بالاستجابة لدعائه، قال تعالى: (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَى تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) (آل عمران: ٤١).

الصمت ^(١): ركن من أركان الإيمان بالله واليوم الآخر لقوله (صلى الله عليه وسلم): "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت". (رواه الترمذي).

ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الرد على معاذ بن جبل حين سأله، يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول-فيقول- "ثكلتك أمك"- "وها يكب الناس في الناس على مناخيرهم إلا حصاد ألسنتهم" (رواه الترمذي وابن ماجه).

(١) إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابق، ص ٢٤٢، ص ٢٥١.

يقول الجنيد: " من عرف الله كل لسانه: فمن عرف الحق لقلبه يعجز اللسان عن بيانه،
والصمت إما أن يكون باللسان أو باللسان والقلب معا، وهناك سكون بالظاهر وسكوت بالقلب
والضمائر وصمت اللسان في مخالفة الهوى، وصمت القلب في موافقة الأحكام، فصمت العوام
بألسنتهم، وصمت العارفين بقلوبهم، وصمت المحبين من خواطر أسرارهم.

والتوبة إلى الله عن الصمت وهي دعوة الكلام في الذكر والالتفات إلى الله، يقول معاذ بن جبل
" كلم الناس قليلا وكلم ربك كثيرا، ولعل قلبك يرى الله تعالى " لذلك حق أن نتعلم متى نتكلم ومتى
نصمت.

هـ - الذكر (١) :

وجد الصوفية في الذكر حياة قلوبهم وصحة عزائمهم وطريقة مثلي للحديث إلى الله والإقلال من
الحديث مع البشر مستحضرين قوله تعالى: " وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ". (طه: ١٢٤)، ولذلك ينبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) خطورة ترك الذكر
لقوله (صلى الله عليه وسلم): " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت " (رواه البخاري
والمسلم).

فالذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى ويقال في هذا " الذكر بالقلب سيف المريدين به
يقاتلون أعداءهم وبع يدفعون الآفات ".

ويقول الواسطي: " الذكر الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة
الحب ".

(١) إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابق، ص ٢٥٢: ص ٢٥٦.

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تحض المؤمن على الذكر كقوله تعالى: (فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)

(البقرة: ١٥٢).

ويقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) (الأحزاب: ٤١).

وقوله جل شأنه: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ) (آل عمران: ٤١).

وقوله تعالى: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) (البقرة: ١٩٨).

وقوله تعالى: (وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الإنسان: ٢٥).

ومن ثمرات الذكر:

الهدى بعد الضلال، واطمئنان القلوب وحياتها، والفوز بالرحمة والمغفرة والنجاة من النار، والذكر

المتبادل بين العبد والرب.

يقول عز من قائل: (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكِ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ

يَشَاءُ) (الزمر: ٢٣) وقوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

الْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨).

درجات الذكر^(١):

يجب ألا تشغل بالذكر عن المذكور، فإن هذا نوع من الغفلة والنسيان، فإذا توقف ذكر اللسان

وترك مكانه لذكر القلب كان هذا هو الطريق إلى الذكر المتبادل الذي ينتقل فيه الذاكر من الغفلة إلى

الاستغراق الكامل في ذكر الله.

(١) إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابق، ص ٢٥٦: ٢٥٨.

ويذكر عبد الرحمن الجامي في ترتيبه لمراحل الذكر: " أن أول مرحلة فيه الغفلة عن النفس وأخرها الفناء - أي فناء الذاكر في ذكره من غير أن يكون له شهور بذكره - استغراق الذاكر في المذكور بحيث يمتنع عليه الرجوع إلى نفسه.

ويبقى الذكر وعاءا خاويا للمجاهدات والرياضيات الروحية وسابقا عليها ثم مصاحبا لها، إذا هو معية الإنسان بخالقه وصاحبه إلى جوار ربه، ومثل هذه الرياضيات تطهر النفس وتنقي الروح وتفتح بابا للنور الإلهي كي يكشف ظلام القلوب والأجساد.

وبصفة عامة فإن رياضة النفس ومجاهداتها أمر ينطلق من التعلق بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم).

ثانيا: الطريق إلى الله ومنازل السائرين:

علامة المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله تعالى (1):

سالك سبيل الله تعالى قليل، والمدعي فيه كثير ونحن نعرفك علامتين:

الأولى: أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع، ولا يمكن ذلك إلا بعد تهذيب الأخلاق، ولا يتوصل إلى ذلك، إلا إذا ترك حملة من المباحات، وكيف يتأتى لمن لم يهجر المحظورات، ولن يتوصل ما لم يواظب على النوافل، فكيف بمن أهمل الفرائض، والسالك لسبيل الله يعرض عن الدنيا، وسالك سبيل الله من خاض في مجاهدة الكسل والهوى، فأما من فرغ من قهرها فهو واصل لا سالك، فمن زكى نفسه وغذاها بغذاء العلوم الحقيقية قوى في المواظبة على العبادة، بل صارت الصلاة قرّة عينه، وصارت خلوة الليل أطيب الأشياء عنده لمناجاة ربه.

(1) الإمام الغزالي: ميزان العمل، مرجع سابق، ص ٤٠٣: ٣٩٩.

فهذه العلامة لا بد منها في أول المنازل، ويبقى إلى آخرها، إن لم يكن لمنازل السير إلى الله نهاية.
والعلامة الثانية: أن يكون حاضر القلب مع الله في كل حال حضوراً ضرورياً غير متكلف، حضوراً يعظم تلذذه، حضور انكسار وضراعة، مصروف القلب إلى الله عز وجل مع نهاية الإجلال والتواضع.
ولا يعم سلوك هذا الطريق إلا بحرص شديد، وإرادة تامة وطلب بليغ ومبدأ الحرص والطلب إدراك جملة المطلوب الموجب للشوق والعشق، كما يطلب العاشق القرب من معشوقه، فكذا المرید يطلب من الله تعالى وهذا القرب قرب الكمال، لا في المكان.

المراقبة والمحاسبة^(١) :

يقول الإمام الغزالي: عرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب، ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطوات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة، وصدق المراقبة، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطوات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته.

فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم فيه إلا طاعة الله، وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال عز من قائل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) (آل عمران: ٢٠٠).

فرابطوا أنفسهم أولاً بالمشاركة، قم بالمراقبة، ثم بالمحاسبة، ثم بالمعاقبة، ثم بالمجاهدة، ثم بالمعاقبة، فكانت لهم في المرابطة ست مقامات:

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، الجزء الخامس عشر، ص ٢٧٣٨.

المقام الأول: المشاركة: (١)

العقل هو التاجر في طريق الآخرة، وطلبه تزكية النفس وفلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة.

والعقل يحتاج إلى مشاركة النفس أولاً فيوظف عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح.

المراقبة الثانية: المراقبة (٢) :

سأل جبريل (عليه السلام) عن الإحسان فقال: " أن تعبد الله كأنك تراه" (متفق عليه من حديث أب هريرة)، وقال (صلى الله عليه وسلم): " أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

قال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى، فسأله عن تفسيره فقال: كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل، وقال ابن عطا: أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات، وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال: أولها علم القلب بقرب الرب تعالى.

والمراقبة هي ملاحظة الرقيب، وانصراف الهم إليه، وحالة للقلب يشمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب. أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به، والمعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد.

المراقبة الثالثة: محاسبة النفس (٣) :

(١) المرجع السابق: ص ٢٧٤٠.

(٢) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، مرجع سابق: ص ٢٧٤٤.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٧٥٧.

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (الحشر: ١٧).

وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال، ولذلك قال عمر (رضي الله عنه):

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا".

وعن ميمون بن مهران أنه قال: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبته

شريكه، والشريكان يتحاسبان بعد العمل.

وقال الحسن^(١): المؤمن قوام على نفسه يحاسبها الله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم

في الدنيا.

والمحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال، وفي الربح والخسران، ليتبين له الزيادة، فإن كان من

فضل حاصل استوفاه وشكره، وإن كان من خسران طالبه بضمائه وكلفه تداركه في المستقبل.

المرابطة الرابعة: معاقبة النفس على تقصيرها^(٢) :

مهما حاسب نفسه لم تسلم عن مقارفة معصية، وارتكاب تقصير في حق الله تعالى، فلا

ينبغي أن يهملها، فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي، وأنست بها نفسه، وعسر عليه فطامها،

وكان ذلك سبب هلالها، بل ينبغي أن يعاقبها.

ودخل ابن السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب، فقال يا داود سجت

نفسك قبل أن تسجن، وعذبت نفسك قبل أن تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له.

المرابطة الخامسة: المجاهدة^(٣) :

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، مرجع سابق: ص ٢٧٥٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٧٦٠.

(٣) نفس المرجع السابق: ص ٢٧٦٣.

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي أن يعاقبها فإن كانت النفس لا تنطاع على المجاهدة والمواظبة فعلاجها أن تسمعها ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين وأن تطلب عبد من عباد الله مجتهد في العبادة.

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر، وعمش العيون من البكاء، وذبول الشفاه من الصوم، عليهم غيرة الخاشعين.

وقيل للحسن : ما بال المجتهدين أحسن الناس وجوها؟

فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره.

المرابطة السادسة: في توبيخ النفس ومعاقبتها (١) :

يقول الإمام الغزالي: " اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جبينك، وقد خلقت أمانة بالسوء، ميالة إلى الشر، فرارة من الخير، وأمرت بتزكيتها، وتقويمها، وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ، ومنعها من شهواتها، وفطامها عن لذاتها، فإن أهملها جمحت وشردت وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة، والعزل، والملامة، كانت نفسك هي اللوامة التي أقسم الله بها، وزجوت أن تصير النفس المطمئنة، المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبته، ولا تشتغلن بوعظ غيرك، عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ نفسك، وإلا فاستحي مني.

مقامات الطريق:

التوبة بداية الطريق (٢) :

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين ، كتاب الشعب، مرجع سابق: ص ٢٧٧٩.

(٢) نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين: تاريخ العداة للإسلام، التأصل والتنظير في دراسات نيكلسون للتصوف الإسلامي، دار ومكتبة الإسراء، المنصورة، ٢٠٠٧م، ص ١٣٦.

التوبة هي المصطلح الإسلامي للتحويل "Conversion" وهو يشكل نقطة البداية لحياة جيدة
ويأخذ نيكلسون بتعريف "إيفلين أندرهل" التي تقول: أنها تحول عن الغفلة أو هي يقظة الروح من نوم

الغفلة. "The awakening of the soul from the slumber of heedlessness".

والتوبة على ثلاثة أنواع (المجويري) واحدة من الخطأ إلى الصواب، والثانية من الصواب إلى
الأصوب، والثالثة من النفس إلى الحق وتكون من الخطأ إلى الصواب لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) (آل عمران: ١٣٥)

١ - التوبة (١) :

التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب، مبدأ طريق السالكين، ورأس مال
الفائزين، وأول إقدام المریدين، ومفتاح استقامة المائلين، التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة
أمور مرتبة: علم، وحال، وفعل، أما العلم: فهو معرفة عظم ضرر الذنوب، وكونها حجاباً بين العبد
ورين كل محبوب، أما تعلقه بالحال فالبتك للذنب، والقلب مهما شعر بقوات محبوه تألم، ويسمى
تألمه ندماً، وانبعث عن هذا الألم إرادة وقصد إلى فعل له تعلق بالحال، قال (صلى الله عليه وسلم):
الندم توبة" (ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود)، قال تعالى: (يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) (التحریم: ٨) ويدل على فضل التوبة قوله تعالى: (إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (التحریم: ٨) .

(أ) معنى التوبة (٢) :

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، الجزء الحادي عشر، بدون، ص ٢٠٧٠: ص ٢٠٧٥

(٢) المرجع السابق: ص ٢٠٨٢ .

الرجوع عن الطريق المبعد عن الله، المقرب إلى الشيطان، وإن كمل العقل وقوى، كان أول شغله قمع جنود الشيطان بسكر الشهوات، ومفارقة العادات، ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات. وقال (صلى الله عليه وسلم) "إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ولمسي النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" وبسط اليد كناية عن طلب التوبة. وأما الآثار: فقد قال سعيد بن المسيب: أنزله قوله تعالى: "فإنه كان للآوابين غفورا" في الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

والتوبة على أربع طبقات (١) :

الأولى: أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره وهذه هي التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة.

الثانية: تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات، وترك كبار الفواحش كلها، وهذه النفس اللوامة.

الثالثة: أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة، ثم تغلبه الشهوة، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة فهذه النفس المسولة.

الرابعة: أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مفارقة الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، فهذا من جملة المصرين ، وهذه النفس الأمارة بالسوء.

٢- الاستغفار (٢) :

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، الجزء الثاني عشر، ص ٢١٣٩: ص ٢١٤٣ .

(٢) المرجع السابق: ص ٢١٤٦: ص ٢١٦٢ .

الاستغفار الذي هو توبة الكذابين، هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه

شركة.

سئل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال:

أول الاستغفار الاستجابة، ثم الإنابة، ثم التوبة.

فالاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله على مولاه، وللتوبة ثمرتين:

إحدهما تكفير السيئات، الثانية : نيل الدرجات.

وقال بعض السلف: إذا أذنب العبد، أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن

يرفع القلم عنه ست ساعات، فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه ، وإن لم يستغفر كتبها.

والعلوم بجملتها أدوية لأمراض القلوب، ولكل مرض علم يخصه، للسعادة في الآخرة سببا هو

الطاعة، وللشقاوة سببا هو المعصية.

وترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الخوف، والخوف لا يكون إلا

بالعلم، والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق

الله ورسوله وهو الإيمان.

٣- الصبر^(١)

الصبر صبران: أحدهما أفضل من الآخر، الصبر في المصيبات وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى،

والصبر ملاك الإيمان.

قال علي كرم الله وجهه: بني الإيمان على أربع دعائم اليقين، والصبر والجهاد ، والعدل.

(١) نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابق، ص ١٧١ : ص ١٧٨.

الصبر مقام من مقام الدين، ومنزل من منازل السالكين، والصبر عبارة عن ثبات الدين في مقابلة
باعث الشهوة، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة ، فقد نصر حزب الله، والتحق
الصابرين.

والصبر نصف الدين، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وكمال الصبر
بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا.

الصبر ضربان:

أ- أحدهما بدني: كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها، وإما بالعقل كتعاطي الأعمال الشاقة من
العبادات وغيرها، وإما بالاحتمال كالصبر عن الضرب الشديد والمرض العظيم.

ب- الصبر النفسي: عن مشتبهات الطبع ومقتضيات الهوى والصبر على شهوة البطن والفرج يسمى
عفة.

قال بعض العارفين:

أهل الصبر على ثلاثة مقامات: أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين، ثانيها الرضا بالمقدور وهذه
درجة الزاهدين، وثالثها المحبة لما يصنع به مولاه، وهذه درجة الصديقين.

قال ابن عباس(رضي الله عنه) ^(١) :

الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه: صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة ، وصبر
عن محارم الله فله ستمائة درجة ، وصبر على المصيبة عند الصدقة الأولى فله تسعمائة درجة.

(١) نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابق ص ١٨٧ : ص ١٩٤ .

والصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى، ويلزم هنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة.

أما تقوية باعث الدين بإطعامه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا، ومصارعة باعث الهوى تدريجياً، فمن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها.

وهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر وأشدّها كف الباطن عن حديث النفس وقمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر.

ولا غابا، ولا مغتابا، ولا عجولا، ولا حقودا، ولا بخيلا، ولا حسودا، بشاشا، هشاشا، يجب في الله، وينبغي في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، وأولى ما يمتحن به حسن الخلق، الصبر على الأذى، واحتمال الجفاء.

قال يوسف بن أسباط: علامة حسن الخلق عشر خصال^(١)

قلة الخلاف، وحسن الإنصات، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه، وطلاقة الوجه للصغير والكبير، ولطف الكلام، عن دونه ولمن فوقه.

وهذا تحصن من قواطع الطريق، فإن مقصود المرید إصلاح قلبه، ليشاهد ربه فإذا وجد مثل هذا المعتصم، وجب على معتصمة أن يحميه ويعصمه بحصن حصين، يدفع عنه قواطع الطريق وهو بأربعة أمور^(٢):

(١) نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين: مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٢) المرجع السابق: ص ١٤٧.

١- أما الجوع: فإنه ينقص دم القلب ويبيضه، وفي بياضه نوره، ويذيب شحم الفؤاد، وفي ذوبانه رفته، ورقته مفتاح المكاشفة، قال عيسى (عليه السلام) " يا معشر الحوارين جوعوا بطونكم، لعل قلوبكم ترى ربكم".

٢- أما السهر، فإنه يجلو ويصفيه وينوره، والسهر نتيجة الجوع، فالنوم يميت القلب.

٣- أما الصمت فإنه تسهله العزلة، والصمت يفتح العقل، ويجلب الورع، ويعلم التقوى.

٤- أما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل، وضبط السمع والبصر، فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه القواطع، وتمنع العوارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق.

٤- الشكر^(١):

قرن الله تعالى بالذكر، قال تعالى (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) (العنكبوت : ٤٥) وقال تعالى: وسنجزي

الشاكرين (آل عمران : ١٤٥).

قال عمر(رضي الله عنه): أي المال نتخذ. فقال(صلى الله عليه وسلم):"ليتخذ أحكم لسانا

ذاكرا وقلبا شاكرا" فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا من المال.

وقال ابن مسعود: الشكر نصف الإيمان.

(أ) الشكر وأصوله:

والشكر من جملة مقامات السالكين وينتظم من علم وحال وعمل، فالعلم هو الأصل فيورث

الحال والحال يورث العمل.

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، ج١٢، ص ٢٢٠١.

أما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبو به ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان.

قال (صلى الله عليه وسلم): "أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله" (الترمذي وحسنه النسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر).

فالأصل الأول: العلم وهو أن يعرف أن النعم كلها من الله، والأصل الثاني الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضا في نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة شكر وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام .

والأصل الثالث^(١): العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح ، أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته. والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمورية فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين.

(ب) النعمة^(٢):

من أركان الشكر، ما عليه الشكر وهو النعمة، وإحصاء نعم الله على عبادة خارج عن مقدور البشر قال تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (النحل: ١٨).

وكل خير ولذة وسعادة، بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة، والنعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية.

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٢، مرجع سابق، ص ٢٢٠٧.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٢٣٣: ص ٢٢٣٧.

ومن تقسيمات اللذات المسماة نعمة فتنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق، وإلى ما هو ضار منهما جميعا كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ونصير في المال كالتلذذ بإتباع الشهوات، وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المال كقمع الشهوات ومخالفة النفس.

(ج) أنواع اللذات:

والنعمة يعبر عن كل لذيذ ، واللذات ثلاثة أنواع: عقلية، وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات، وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات فأما العقلية لذة العلم والحكمة، وأما الثانية لذة الرياسة والغلبة والاستيلاء ، والثالثة: لذة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهي أحسها، وأما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون، وشهوة الرياسة لا يقوى على كسرها إلا الصديقون.

وعد هذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام^(١) :

قلب لا يجب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيارة المعرفة به والفكر فيه وقلب لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية ، وقلب أحواله الأنس بالله تعالى ولمنه قد يعتريه في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة.

والسبب الصارف للخلق عن الشكر^(٢) : الجهل والغفلة ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت لذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: عليكم بملازمة الشكر على النعم.

وقال بعض السلف: النعم وحشية فقيدوها بالشكر.

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين: ج ١٢، مرجع سابق، ص ٢٢٣٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٢٧٥ : ص ٢٢٨١.

٥- الرجاء (١) :

من جملة مقامات السالكين ، وأحوال الطالبين ويسمى مقاما إذا ثبت وحالا إذا كان عارضا والرجاء يتم من حال، وعلم وعمل، فالعلم سبب يثمر الحال، والحال يقاضي العمل، وبيانه أن كل ما يلاقيك من مكروه وحبوب فينقسم إلى موجود في الحال، وإلى موجود فيما مضى، وإلى منتظر في الاستقبال، فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا، وإن كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال سمي وجدا ، وذوقا، وإدراكا، وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال، وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا.

فإن كان المنتظر مكروها، حصل منه ألم في القلب سمي خوفا وإشفاقا، وإن كان محبوبا، حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح رجاء، فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده.

فالعبد إذا بث بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تشييته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المقضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا.

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته، فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب، فإن من حسن بذره، وطابت أرضه، وغزر ماؤه، وصدق رجاءه.

حال الرجاء (٢) : يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت

الأحوال، ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى ، والتنعم بمناجاته، والتلطف في التملق له.

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، ج١٢، مرجع سابق، ص ٢٣١١: ص ٢٣١٣ .

(٢) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ١٢٠، مرجع سابق، ص ٢٣٠٩: ص ٢٣١١.

والحب يغلب بالرجاء خوفا من عقابه ورجاء لثوابه، قال تعالى: (لا تَفْنَأُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)
(الزمر: ٥٣) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى " (مسلم
من حديث جابر).

وقال (صلى الله عليه وسلم): " يقول الله تعالى عز وجل أنا عند ظن عبدي فيظن بي ما
شاء " (ابن حبان من حديث واثلة بن الأسقع).

وفي الخبر (١) :

"إذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدي أذنب ذنبا فعلم
أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أنني قد غفرت له". (متفق عليه من حديث أبي
هريرة).

"لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له لما استغفرتني ورجاني" (الترمذي من
حديث أنس: يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك وقال حسن).

"ولو لقيني عبدي بتراب الأرض ذنوبا لقيته بتراب الأرض مغفرة" (مسلم من حديث أبي ذر).

وروى أنس (٢) : في حديثه أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: " إذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه "

فقال أعرابي: وإن تاب عنه؟ قال " محي عنه " قال فإن عاد؟ قال النبي (صلى الله عليه وسلم) " يكتب

عليه " قال الأعرابي فإن تاب؟ قال: " محي من صحيفته " قال إلى متى؟ قال " إلى أن يستغفر ويتوب إلى

الله عز وجل إن الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فإذا هم العبد بحسنة كتبها

صاحب اليمين حسنة قبل أن يعلمها فإن عملها عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى

(١) المرجع السابق: ص ٢٣١٩.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٣٢٠.

سبعمائة ضعف وإذا هم بخطيئة لم تكتب فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل".

وفي الآثار^(١) : فقد قال علي كرمه الله وجهه: من أذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا، فالله أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة.

والعبادة على الرجاء أفضل، لأن المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف، لذلك قال (صلى الله عليه وسلم): " سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريما" (مسلم من حديث أبي هريرة).

٦- الخوف^(٢) :

(أ) معنى الخوف:

الخوف عبارة عن تألم القلب واحترامه، بسبب توقع مكروه في الاستقبال، أشار الواسطي: الخوف حجاب بين الله وبين العبد، وبالجملة فالحب إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق، كان ذلك نقصا في الشهود ، وإنما دوام الشهود غاية المقامات.

وأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه، لذلك قال (صلى الله عليه وسلم) " أنت أخوفكم لله" البخاري من حديث أنس"، قال الله تعالى: " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (فاطر: ٢٨).

إذا كملت المعرفة أورثت خلال الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن، وعلى الجوارح، وعلى الصفات، أما في البدن فبالنحول والصغار، والغشبية والزعقة والبكاء، وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي، وتقييدها بالطاعات، وأما في الصفات، فبأن يقمع الشهوات،

(١) الإمام الغزالي/ إحياء علوم الدين، ج. ١٢، مرجع سابق، ص ٢٣٢٥: ص ٢٣٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٣١: ص ٢٣٣٣.

ويكدر اللذات، فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول، والخشوع، والزلة والاستكانة، ويفارقه الكبر، والحقد، والحسد، بل يصير مستوعب الهم، بخوفه والنظر في خطر عاقبته ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب نفسه وما بين يديها من الأخطار والأهوال، وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحترامه.

ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فإن زادت قوته سمي تقوى، وقد يحمل على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا.

(ب) فضيلة الخوف^(١) :

وفضل الخوف يعرف بالتأمل والاعتبار، وتارة بالآيات والأخبار، أما الاعتبار فسبيله في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة، ولا وصول إلى سعادة لقاء الله إلا بتحصيل محبته، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر. ولا تيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا ولا ينقطع ذلك إلا بترك اللذات، ولا يمكن ترك المشتبهات إلا بقمع الشهوات، ولا ينقمع الشهوة كما تنقمع بنار الخوف، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات.

والخوف تحصل به الفقه، والورع، والتقوى، والمجاهدة، وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى.

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب الجزء ١٣، مرجع سابق: ص ٢٣٤٠.

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار، فقد جمع الله تعالى للخائفين الهدى، والرحمة، والعلم، والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان، قال الله تعالى: (هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) (الأعراف: ١٥٤).

وقال عز وجل: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (البينة: ٨).
والتقوى عبارة عن كف بمقتضى الشهوة، قال عز وجل: (وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٧٥).

قال الفضيل^(١): "من خاف الله دله الخوف على كل خير".

وقال ذو النون رحمه الله تعالى: من خاف الله تعالى ذاب قلبه، واشتد لله حبه، وصح له لبه.

وكان أبو الحسين الضيرير يقول: "علامة السعادة خوف الشقاوة".

وقالت عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ

(المؤمنون: ٦٠) هو الرجل يسرق ويزني؟ قال: "لا بل الرجل يصوم ويصبي ويتصدق ويخاف أن لا

يقبل منه" (الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد).

والخوف والرجاء دو الآن يداوي بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب

على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى فالخوف أصلح، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط

فالرجاء أصلح وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل، فالخلق الموجودون في هذا

الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل، وقطع الطمع من

المغفرة.

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، الجزء ١٣، مرجع سابق: ص ٢٣٤٢: ص ٢٣٥٣.

والخوف من الله تعالى على مقامين: أحدهما الخوف من عذابه، والثاني الخوف منه، فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين، المطلعين على سر قوله وتعالى: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) (آل عمران: ٢٨) وقوله عز وجل: (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) (آل عمران: ١٠٢).

٧- الفقر والزهد (١) :

(أ) **الفقر**: عن فقد ما هو محتاج إليه، وكل موجود سوى الله تعالى فهو فقير، ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده.

(ب) **الزهد**: درجة كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من المقربين. غذ حسنة الأبرار سيئات المقربين، ومراتب الزهد ست، أعلاها رتبة المستغنى، ثم الراضي، ثم القانع، الحريص، والمضطر يتصور في حقه الزهد، والرضا، والقناعة، واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة أما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى، ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير.

أما الأخبار في مدح الفقر (٢) ، قال (صلى الله عليه وسلم): " إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال" (ابن ماجه من حديث عمران بن حصين).

وفي الخبر المشهور: " يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام" (الترمذي من حديث أبي هريرة)، وفي حديث آخر " بأربعين خريفا : أي أربعين سنة" (مسلم من حديث عبد الله بن عمرو إلا أنه قال فقراء المهاجرين والترمذي من حديث جابر وأنس).

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشة كفافا وقنع به" (رواه مسلم).

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، الجزء ١٣، ص ٢٣٩١.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٣٩٧: ص ٢٤٠٦.

(ج) **حقيقة الزهد** ^(١) : هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وهو ترك المباحات التي هي خط النفس، والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهداً، والزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا عن الآخرة، فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى أن من قوي يقينه يبيع نفسه وماله، كما قال الله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** **أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ**) (التوبة: ١١١).

وعلاوة الرغبة الإمساك، وعلامة الزهد الإخراج، فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البغض فأنت زاهداً فيما أخرجت فقط، ولست زاهداً مطلقاً.

(د) **فضيلة الزهد**: قيل من زهد في الدنيا أربعين وما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه، وأنطلق بها لسانه، وعن بعض الصحابة أنه قال : قلنا يا رسول الله أي الناص خير؟ قال " كل مؤمن محموم القلب صدوق اللسان" قلنا يا رسول الله وما محمود القلب؟ قال " التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد" قلنا يا رسول الله فمن على أثره؟ قال " الذي يشأ الدنيا ويحب الآخرة". (ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو). قال (صلى الله عليه وسلم): " من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأتي من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة" (ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه).

(١) الإمام الغزالي / إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، الجزء ١٣، مرجع سابق: ص ٢٤٣٥ : ص ٢٤٤٢.

(هـ) الآثار^(١) : فقد جاء في الأثر لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما نقص من دنياهم.

وقال عمر (رضي الله عنه): الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد، وقال إبراهيم بن أدهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية، فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب، الفرح بالموجود، والحزن على المفقود، والسرور بالمرح. فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذب، وإذا سررت بالمرح فأنت معجب، والعجب يجبك العمل. وكان الثوري يقول: الدنيا دار التواء لا دار استواء، ودار ترح لا دار فرح، من عرفها لم يفرح برحاء، ولم يحزن على شقاء.

(و) درجة الزهد^(٢) :

الدرجة الأولى: وهي (السفلى): أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتته، وقلبه إليها مائل ونفسه ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها، وهذا يسمى المتزهد.

والمتزهد على خطر فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا.

الدرجة الثانية: الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره إياها، كالذي يترك درهما لأجل درهمين، فيكاد معجبا بنفسه وبزهد، ويظن في نفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه، وهذا أيضا مقصان.

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٤٤: ص ٢٤٥٠.

(٢) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، الجزء ١٣، مرجع سابق، ص ٢٤٥٠: ص ٢٤٥١.

الدرجة الثالثة وهي (العليا): أن يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده، إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفه وأخذ جوهره، والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة أحسن من خوفه ، فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة.

ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه، فألتقي إليه لقمة من خبز، فشغله بنفسه، ودخل الباب ونال القرب عند الملك، حتى نفذ أمره في جميع مملكته، أفترى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمه خبز ألقاهما إلى كلبهن في مقابلة ما قد ناله؟ فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول، مع أن الباب مفتوح، والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز.

قال الحسن البصري^(١) : أدركت أقواما وصبحت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب.

(ز) قالوا في الزهد^(٢) : قال يحيى بن معاذ: علامة الزهد، السخاء بالموجود، وقال ابن خفيف: علامته وجود الراحة في الخروج من الملك، وقال أيضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف، وقال أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله: علامة الزهد قصر الأمل، وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاث: عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة.

(ح) علامات الزهد: وللزهد ثلاث علامات^(٣) :

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، الجزء ١٣، مرجع سابق، ص ٢٤٥٠.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٤٧٩.

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٧٨.

العلامة الأولى: أن لا يفرح بوجود ولا يحزن على مفقود، كما قال تعالى : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) (الحديد: ٢٣).

العلامة الثانية: أن يستوي عنده ذامه ومادحه ، فالأول علامة الزهد في المال، والثاني علامة الزهد في الجاه.

العلامة الثالثة: أن يكون أنسه بالله تعالى، والغالب على قلبه حلاوة الطاعة ، إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة، إما محبة الدنيا وإما محبة الله.

(ط) آيات الزهد^(١) : ويكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر، وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال عز وجل (رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (آل عمران: ١٤).

ثم رده في آية أخرى إلى خمسة^(٢) فقال عز وجل (اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) (الحديد: ٢٠).

ثم رده تعالى في موضوع آخر فقال تعالى: (أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ) (الحديد: ٢٠). وفي موضوع آخر فقال تعالى : (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) (النازعات: ٤٠).

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب الشعب، الجزء ١٣، مرجع سابق، ص ٢٤٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٣٥: ص ٢٤٥٤.

ثالثاً: التربية النفسية (١) :

(أ) التربية :

تشتمل على التعليم وتكوين الملكات الخلقية والعقلية، والتربية النفسية رغم أهميتها في تكوين أخلاق الأفراد والشعوب إلا أنها ليس لها نصيب وافر في التعليم في المراحل المختلفة في عصرنا الحديث. وقد بدأ الإمام الغزالي تربية نفسه بالأيسر.. ثم بالأشق والأعسر، أي من البسيط إلى المركب ومن الأسهل إلى الأصعب وهذا هو منهج التربية الأقوم. هذا الطريق يحتاج إلى مثل أعلى أو قدوة حسنة، تلتف حولها القلوب للخروج من حياة الجهل إلى العلم، ومن الغرور إلى الإيمان، وبدون التخلي بالإيمان الإلهي وما يستتبعه من قيم عليا يؤدي ذلك إلى التحلل في وحدة الأمة فتفكك، وتأخذها قوتها في الانحلال .

(ب) التربية الخلقية (٢) :

لا تعتمد على المواعظ الجامدة والتعبيرات المطاطة، والألفاظ المكررة، والحكم المتواترة، والكتب المترجمة، وإنما تعتمد أساساً على المرابي الفاضل، صاحب الخبرات الذي يوجه تلميذه إلى الخير والحق بما له من الحنكة والتجربة.

ولكي تتحقق هذه التربية تنطلق من محركين (٣) : محرك ترغيب، ومحرك تهيب، فالنفس تنزع بفطرتها إلى الهوى وتميل إلى الشهوة، لذلك وجب تحريك محرك التهيب للقضاء على الآفات حتى لا تعتاد عليها النفس كما تقوم التربية الإسلامية على محرك الترغيب فيما يتعلق بالأفعال الحمودة والعلوم النافعة، والقدوة الحسنة حتى يتحلى بها باطن الإنسان فتصبح هذه الأفعال هدفاً وغاية وسلوكاً. ومنهج التربية تقوم على ركيزة مستقاة من القرآن الكريم لكن الإنسان فطر على نسيان الحق فإذا لم يذكر به انحرف عن جادة الصواب وتميل النفس إلى طبيعتها وتندفع إلى الغفلة والضياع، ومن هنا

(١) حسن محمد الشرقاوي: مرجع سابق: ص ٢٦٥.

(٢) حسن محمد الشرقاوي: مرجع سابق: ص ٢٦٨.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٧١.

كانت أهمية الرياضة النفسية لتقوية العزيمة، والعزيمة باب الصحة النفسية، لأنها طريق إلى الاستقامة والعدل التي بهما يتحقق الخير والعلم. (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) (طه: ١١٥).

فالنسيان إن آفة مفطور عليها الإنسان وعليه فغالبيته بالعلم، والعلم بهذا المعنى رياضة نفسية وممارسة عملية ، وإرشاد وتوجيه مستمر لتقوية العزم.

ومن الناحية العملية يجب أن تبدأ التربية النفسية^(١) بالافتداء بالقدوة الحسنة ممثلة في الأنبياء

والرسل والصالحين لقوله تعالى : (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) (الأحقاق: ٣٥).

فالعزم يحتاج إلى صبر ، وكظم الغيظ، وتحمل للابتلاءات ، والتربية تحتاج إلى علم، والعلم يحتاج إلى تذكر دائم، ومكابدة ومعاناة ومجاهدة حتى يعتبر سلوكا وأخلاقا وأدبا.

وتربية القلوب^(٢) : هي رياضة نفسية عملية تهتم بالنيات والخواطر، فتدفع بعيدا الخواطر

والوساوس والنيات السيئة كالرياء والغرور والحسد والكبر والتعجب وغير ذلك من الآفات، ولا تترك النفس في فراع بل تدفع إليها مكارم الأخلاق ممثلة في الأشياء والصدق والعدل والإحسان والتواضع، وتنقية النفس بالخواطر المحمودة.

(١) نفس المرجع السابق: ص ٢٧٢.

(٢) حسن محمد الشرقاوي: مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(ج) آداب التربية^(١) :

- النصيحة الخالصة التي لا ترتبط بمنفعة أو مصلحة.
 - أن يتحقق في المرابي الحلم والشفقة والرحمة بمن يتولى تربيتهم.
 - أن يتفوق بهم وأن يلاينهم عند عجزهم في احتمال المجاهدة.
 - أن يعتبر المرابي من يريه بمثابة ابنه ، فيعامله معاملة الوالد.
 - أن يأخذ المرابي من يريهم بالأسهل ولا يحملهم ما لا طاقة لهم به.
 - إذا ما وجد المرابي المرید قوي العزيمة يأمره بالأشد فالأشد، وذلك بترك محاكاة الطبع وإتباع الحق حتى يخرج من مألوف العادات وقيود الطبع وأحكامه.
 - أن يعود على العزم حتى يتعود على المجاهدات وتجنب الخمول والكسل، إذا وجد صادقا، مجاهدا، صاحب عزيمة ، فإنه لا يسامحه في شيء بل يأخذه بالأصعب من الرياضات التي لا تضعف عزيمته ولا تفسد إرادته، ألا يهون عليه أمره عندما يقع في المخالفات.
 - أن يحسن تربيته وتأديبه.
 - إذا وجد فيه خللا، فعليه أن يحفظ سره، فلا يطلع عليه أحد غيره لأنه أمانة عنده.
 - أن يكون ملجأ المرید عند الحاجة ومرشده وموجهه عند الطلب وعليه أن يعظه في السر.
 - أن يصغر له أحواله وأعماله، لأن التعجب يفسد المجاهدة.
- التربية الصحية^(٢) تعلم الجلد والمثابرة، وحفظ اللسان، والإحسان، والرحمة.
- النفس كالشريك الخوان، إن لم تحاسبه خانك، ومن أهمل المحاسبة دامت حسراته.

(١) المرجع السابق: ص ٢٧٦.

(٢) حسن محمد الشرقاوي: مرجع سابق: ص ٢٧٩.

جاء في مختصر القاصدين^(١) : فليُنظر الإنسان في أربعة أنواع: الطاعات، والمعاصي،

والصفات المهلكات، والصفات المنجيات، فلا تغفل عن نفسك ولا عن صفاتك المباعدة عن الله تعالى والمقربة إليه.

ومن الأصول التي اتفق عليها الصوفية لمعالجة آفات النفس وأمراضها، تربية النفس

وفطمها عن الألوفات ويسير المنهج الإسلامي في التربية على النحو التالي:

(١) الإيمان بالله^(٢) :

هو أساس إصلاح الولد، وملاك تربيته الخلقية والنفسية، ويقصد بالتربية الخلقية مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها، ولا جدال أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة.

انتبه علماء التربية والاجتماع في الغرب وأعلنوا عن آرائهم بأنه من غير دين لا يتم استقرار، وبغير إيمان بالله لا يتحقق إصلاح، ولا يتقوم خلق، يقول الفيلسوف الألماني "فيخته": "الأخلاق من غير دين عبث".

قال الزعيم الهندي "غاندي": "إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال، والدين كالروح للأخلاق".

ويذكر كانت: "لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة: وجود الإله، وخلود الروح، والحساب بعد الموت".

(١) أبي ذر القلموني: ففروا إلى الله، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الجيزة، ١٤٠٤هـ، ص ٢١٤.

(٢) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٧٣، ص ١٨٠.

ويقصد بالتربية النفسية^(١) : تربية الولد منذ أن يعقل على الحرأة والصراحة ، والشجاعة، والشعور بالكمال، وحب الخير للآخرين، والانضباط عند الغضب، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق، والهدف من هذه التربية تكوين شخصية الولد وتكاملها واتزانها.

(٢) محبة الله^(٢) :

إن الإنسان ليستغرق أحيانا في العبادة لله ويستغرق في الحب، إلى حد أن ينسى كل شيء في الوجود غيره هو وغير الله.

ويخيل إليه لحظة الاستغراق العميقة أن الوجود كله قد شف وراق، ثم خلال من كل شيء ومن كل أحد إلا قلبه الخافق والشعاع النوراني الذي يصل قلبه بالله.

في لحظة الاستغراق هذه تميل إلى الإنسان بالشحنة التي توجهه في الحياة، توجهه فردا إيجابيا له كيان، يلين قلبه لأخيه، قوي في كل حالاته، مستعل في كل حالاته: (وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران : ١٣٩).

والاستعلاء الحقيقي هو الاعتزاز بالله، والاعتزاز بالنفس وصيانتها عن كل مذلة لغير الله، وكل دنس يصيبها، وفي استعلائه لا يحتقر الناس بل يفيض قلبه بالعطف على بني الإنسان.

(٢) تربية الروح والعقل^(٣) :

طريقة تربية الروح هي أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله، في كل لحظة، وفي كل عمل وكل فكرة وكل شعور.

ويستخدم لذلك وسائل شتى: يثير حساسية القلب بيد الله المبدعة في صفحات الكون لتحس بوجود الله وقدرته المطلقة، ويرقابة الله الدائمة عليه، ويثير في القلب وجدان التقوى والخشية الدائمة من الله ومراقبته، يثير فيه الحب لله والتطلع إلى رضاه، يبعث فيه الطمأنينة إلى الله، وتقبل قدره بالتسلم والرضا بهدف وصل القلب البشري بالله.

وتربية هذا العقل البشري على ضخامته لا يستطيع أن يهتدي وحده، ولا بد له من مدد مشع منير طريقه في الظلمة، مدد من طاقة الروح.

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م، ص ١٧٣: ص ١٨٠.

(٢) محمد قطب: مرجع سابق، ص ١٦٥: ص ٢٢٧.

(٣) محمد قطب: مرجع سابق، ص ٤٢: ص ٤٥.

الروح الواصلة المهتدية تقرر طريق الخير وتسخر العقل ليسير في طريقه، ويبدأ الإسلام التربية العقلية بتحديد مجال النظر العقلي، والعقل وسيلته إلى الله وإلى معرفة الحق، هي تدبر الظاهر للحس والمدرك بالعقل، وتدريب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال والتعرف على الحقيقة بوسيلتين: وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي ثم تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط.

(٣) تأديب المرید (١) :

حق على المرید الخائف من الله عز وجل ألا يأمن بغتة الموت على كل حال، فإذا ألزم قلبه الخوف لذلك فحق عليه أن يحقق بالحذر أن يقبض الله عز وجل روحه في نومه، فإذا مات في منامه لقي الله عز وجل مغفورا له ذنوبه إن شاء الله، وإن أصبح حيا كان عزمه على التوبة مهيجا له على الحياء من الله عز وجل، ثم تأخذ نفسك بالوفاء والعزم، وتذكرها قرب العهد، وتمجيا على الحياء من الرب جل وعز.

ومن وسائل إعداد النفس وتربيتها التطهير الروحي (٢) وهو وسيلة إعداد الذهنية الإنسانية التي تهيئ الإنسان ليكون أقرب للتقوى والطاعة، وهذا الإعداد يقوم على تشبع مرآة القلب بالإيمان شريطة أن تكون مطهرة من كل أدناس الدنيا وكدوراتها، هذه المرآة الصافية رمزا للكمال والاستقامة والطاعة الأخلاقية، ذلك أن القلوب وحدها هي التي تعكس أسرار الحق.

والقلب بعد طهارته من المهلكات، يصير معمورا بالمنجيات (٣) من: الشكر، والصبر، والخوف، والرجاء، والزهد، والمحبة، والرضا، والشوق، والتوكل، والتفكير، والمحاسبة، وغير ذلك. وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه، وهو القلب المطمئن، المراد بقوله تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨).

وصفاء القلب (٤) : أعني طهارته عن الأدناس وأنه بذكر الله تعالى، ووجهه لله عز وجل، وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا، فهي من المنجيات إذ تكون جنة بين

(١) الحارث بت أسد الخاسي: الرعاية لحقوق الله، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص ٣٩٧.

(٢) شهاب الدين السهروردي: الرسائل الصوفية، ترجمة وتعليق عادل محمود بدر، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٧، ص ٣٠٢.

(٣) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٨، مرجع سابق، ص ١٤٢٠.

(٤) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٩، مرجع سابق، ص ١٧٣٥.

العبد وبين عذاب الله، وأما الأنس والحب من المسعادات، وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة.

وتعتبر الرسائل الصوفية^(١) : دعوة لتربية النفس روحيا، لتنتقل من الظلمات إلى النور في طريق

صاعد إلى عالم الملكوت على جناح المجاهدة الروحية والألم حتى الظفر بالحقيقة اللامتناهية.

ويعبر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي عن الجانب الروحي بقوله^(٢) : " الحس السادس الذي

يعبر عنه بالعقل أو النور أو بالقلب أو ما شئت من العبارات"

والرسالات السماوية لم تأت لتغير الفطرة وإنما أتت مؤيدة ومكملة لها، ومن هنا يحرص الإسلام

على أن تكون أوامره ونواهيه مطابقة للعقل، والحكمة، وهذا يؤكد أن الإنسان كائنا أخلاقيا لديه

بالفطرة، ضمير يلزمه بالسلوك الأخلاقي باستثناء من فسدت فطرتهم وصموا آذانهم وعقولهم عن

صوت الضمير.

وقد غبر أحد العلماء الغربيين أن^(٣) :

"النظرة الروحية الدينية لا تولد في النفس إلا حينما يتسع أفقها، فتتجاوز الكون بظاهرة وباطنه

إلى ما وراءه، فعي أوسع النظرات مجالا، وأبعدها مطلبا".

يرى الغزالي^(٤) : أن المحبة لا تتصور إلا بعد معرفة وإدراك، ويعرف الحب بأنه عبارة عن ميل

الطبع إلى الشيء الملذذ فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا، ويورد الغزالي في هذا الصدد قول

(١) شهاب الدين السهرودي، مرجع سابق، ص ١٥.

(٢) محمود حمدي زقزوق: الإنسان في التصور الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية، العدد(١٥٤)، القاهرة ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م، ص ٤٢: ص ٥٤.

(٣) راجع: الدين للدكتور محمد عبد الله دراز، دار القلم بالكويت، ١٩٨٠م، ص ٨٦.

(٤) محمود حمدي زقزوق: مرجع سابق: ص ١٢٩.

الرسول (صلى الله عليه وسلم): "حب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرة غيني في الصلاة" (رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك).

وفي نظر الغزالي^(١) : ترجع أسباب الحب إلى خمسة أسباب:

حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه، حب الإنسان لمن أحسن إليه، وحب الإنسان لمن كان محسنا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه، وحبه لكل ما هو جميع في ذاته، وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن، فإن كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات، وهنا يؤكد القرآن الكريم على أن المؤمنين وحدهم هم الأشد حبا لله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (البقرة: ١٦٥).

وروي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل: قال ثم ينادي في السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض" (صحيح مسلم - مشكول - ج ٨ ص ٤٠ - طبعة محمد علي صبيح).

الفتح الرباني^(٢) :

وعن هذا المنهج يقول الإمام الغزالي: "وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي اذكره لينتفع بهن أي علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أذكى الأخلاق. بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم

(١) المرجع السابق: ص ١٣١.

(٢) فوزي محمد أبو زيد: مرجع سابق، ص ٩: ص ١٢.

وسكناتهم في ظاهريهم، وباطنهم، مقتبسه من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به".

والمنهج للفتح إذا إنما هو تزكية النفس أو جلاء البصيرة، ويقول الإمام الغزالي معبراً عن هذا الرأي المبني على التجربة: "ابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل (قوت القلوب) لأبي طالب المكي، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورون عن الجنيد، والشبلي، وأبي يزيد البسطامي". إن للعبارة أثراً لا ينكره أحد في تصفية النفس وتزكية الروح، وقد حددوا التصوف نفسه لا تزكية النفس وحسب بل أنه الخلق الطيب^(١).

ومن المنجيات عشرة: الندم على الذنوب، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، واعتدال الخوف والرجاء، والزهد في الدنيا، والإخلاص في الأعمال، وحسن الخلق مع الخلق، وحب الله تعالى، والخشوع.

ومن فضل الإسلام على البشرية^(٢) أنه جاء بمنهاج شال قويم في تربية النفوس، وتنشئة الأجيال، وتكوين الأمم، وبناء الحضارات، وإرساء قواعد المجد والمدنية، وما ذلك إلا لتحويل الإنسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفوضى، إلى نور التوحيد والعلم، والهدى والاستقرار.

وفي مجال تربية النفس نجد خطوط متقابلة في النفس البشرية^(٣): الخوف والرجاء.. الحب والكره.. الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال، يخاف الظلمة، والوحدة، السقوط، الاصطدام، المناظر

(١) المرجع السابق: ص ٩: ص ١٢.

(٢) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ج١، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م، ص ٥.

(٣) محمد قطب: مرجع سابق، ص ١٢٦: ١٣١.

التي لم يألفها، ويرجو الأمان والراحة، والدفء والاستقرار، يخاف الموت، الفقر، العجز، الخيبة، الخزي، الألم الحسي والمعنوي، المعلوم، المجهول.

يرجو الاستقرار، التوفيق، القوة، المكانة، الجاه، النعيم، آمالا شتى.

والتربية الناجحة توقع على هذين الوترين ما يربي النفس، ويشفيها من انحرافها، ويقويها ويقومها، والإسلام ينفذ عنهما كل خوف فاسد ورجاء منحرف.

والخوف ينبغي أن يكون من الله، وفما يخوف به الله (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٧٥).

الحب والكره^(١) :

فالإنسان يحب نفسه كذلك ركب بفطرته: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) (العاديات: ٨).

والإسلام لا يحارب الفطرة بل يهذبها ويضع ضوابط لشهوة الحب والكره ضوابط تتصل بالروح والعقل وجميعها يتصل بالله.

وقد كشف العلم الحديث عن وحدة البناء في الكون والحياة والإنسان ونعمة الحب للكائنات الحية التي تشارك الإنسان سكني الأرض.

ولقد تخبطت البشرية ما بين عبادة المادة وعبادة العقل، وعبادة الحتمية التاريخية والحتمية الاقتصادية والحتمية والاجتماعية، إلى آخر هذه الآلهة المزعومة التي يعبدها الناس ليهربوا بها عن عبادة الله، فكانت الشقوة التي تفسد الأعصاب والنفوس وكان العذاب الذي يمس الأفراد والجماعات،

(١) المرجع السابق، ص ١٤٠ : ١٤٦.

وليس للبشرية علاج من هذه الشقوة المفسدة إلا أن تعود إلى الله لتجد الأمن والرعاية في حماه وتجد التوجيه الراشد في منهجه للحياة.

والعبادة الخالصة هي الوسيلة لإصلاح النفوس وإصلاح الحياة في الأرض ، وترقية الحياة النفسية وتميئتها والتعود على الخير والحب والترابط بيم جميع البشر.

والنفس البشرية لا تستعصي على الارتفاع حين تجد التوجيه والترغيب فكل دعوات الأنبياء والمصلحين هي محاولات لتهديب الطبائع البشرية، أقاموا أنفسهم مثلاً رفيعة للعدل والرحمة والاعتدال بالكرامة والإيمان بالأفكار العليا. وقد وصل القرب في تهديب الطبائع إلى مثالية فبائه الصحف الذي يترك صحيفة وعليها كومة من النقود فيأتي الزبائن فيأخذ كل منهم صحيفته ويضع ثمنها، يعتمد ذلك دون شك على التهذيب الفائق الذي صقل النفوس فيمنعها من السرقة المتاحة.

خاتمة

ترك المحاسبي تراثا نفسيا عرض فيه أسبابا حيرته وكيف خرج منها وبالمقارنة نجد بعض الدراسات ترى أن الغزالي تأثر تأثرا شديدا بالمحاسبي.

فعلى غرار "كتاب الوصايا" للمحاسبي^(١) ألف الغزالي كتابه الرائع "المنقذ من الضلال"^(٢) وقد تلتقي عبقرية الغزالي في طريق البحث والإنشاء مع فكر المحاسبي النابه.

أما فيما يتعلق بشخصيتهما، فالغزالي والمحاسبي مختلفان، إنه لا يمكن تصور الغزالي إلا أشعريا صوفيا، أو شاعرا عاطفيا، إنه إنسان وديع لطيف رقيق الإحساس، متردد بعض التردد، احتاج إلى ستة أشهر ليتخذ قرار الرحيل عن بيئته، وإن رسخ اليقين لديه بوجود ذلك،... وعلى العكس من ذلك، كان المحاسبي مثال الثوري، والقائد المطاع، كان رجل الانفعال المفاجئ، والقرار الحاكم، والروح المسيطرة القوية المراس، فلما حملته مقاديره إلى التصوف لم يثبت أن نفذ فيه إلى مصاف الزعامة الأولى، ومن هنا كان بين الغزالي والمحاسبي اختلاف وتشابه، وهذا طبيعي.

أما المحاسبي فقد كان أصوليا ماهرا، وفقهيا حرا، ومتكلما بارعا، واجتماعيا خبيرا بأحوال العالم، وفيلسوف يقف على قدم المساواة مع الفلاسفة... بالإضافة إلى ذلك صوفيا مريبا عالما بالنفس البشرية وخفاياها، متأملا فعاليتها وأحوالها، محللا بارعا للسلوك وخلجات الضمائر، اتبع المنهج القرآني في الدعوة تهييبا وترغيبا، انشغل قلبه بالبيئة الدينية وأبدع في إنشاء أساليب الشفاء للنفس

(١) عبد الحليم محمود: أستاذ السائرين "الحارث بن أسد المحاسبي" ص ٤٧.

(٢) عبد الكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، مكتبة وهبة، دار فريب للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية،

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ص ١٠.

الإنسانية، أول من أنشأ العلاج النفساني للشر ومنشئ مبادئ التحكم الأخلاقي المنظم في الذات في إطار التقوى الإسلامية.

أما الغزالي فقد ندب نفسه للدفاع عن السنة بتدريسه في المدرسة النظامية ومقاومة الدعوة الفاطمية وكان مفكراً متنوع الجوانب، اصطبغت فلسفته بالصبغة الدينية ما تصوف تصوف مسلم سني، متعبد ، آمن بالله، وبالنبوة، وباليوم الآخر، كف نفسه عن الهوى، وأعرض عن الجاه والمال وأقبل على الله تعالى وتصوف مبني علم وعمل.

ملخص:

ترك الشيخان تراثا نفسيا لإعادة منظومة القيم في ضوء وحي الأديان ومعارف الإنسان من

خلال رياضة النفس وتهذيب الأخلاق وعلاج أمراض القلوب والنفوس بالمجاهدة:

العزلة ، الجوع، الصمت، الذكر، التوبة، الصبر، الشكر، الرجاء، الخوف، الزهد.

وتزكية النفس بالمراقبة والمحاسبة والسير القلبي إلى الله ، للتطهير الروحي والدرجات حسب

المجاهدات، وبالذكر يتبدل القلق سكينه، والفرح طمأنينة، والنواقص النفسية كمالات.

وعلى ذلك يعتبر المحاسبي أول من أنشأ العلاج النفساني للشر، بينما يكشف الغزالي في معارج

القدس عن أسرار النفس المخزونة وكنوز العلم المكنونة.

المصادر والمراجع

المصادر:

١- الحارث بن أسد المحاسبي: الرعاية لحقوق الله، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢- الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، عطية يوسف زهري، كتاب الشعب الجزء الثامن، بدون.

٣- _____: إحياء علوم الدين، عطية يوسف زهري، كتاب الشعب الجزء التاسع، بدون.

٤- _____: إحياء علوم الدين، عطية يوسف زهري، كتاب الشعب الجزء الحادي عشر، بدون.

٥- _____: إحياء علوم الدين، عطية يوسف زهري، كتاب الشعب الجزء الثاني عشر، بدون.

٦- _____: إحياء علوم الدين، عطية يوسف زهري، كتاب الشعب الجزء الثالث عشر و بدون.

٧- _____: إحياء علوم الدين، عطية يوسف زهري، كتاب الشعب الجزء الخامس عشر، بدون

٨- _____: ميزان العمل، حققه سليمان دنيا (الدكتور)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ م .

٩- شهاب الدين السهروردي : الرسائل الصوفية، ترجمة تعليق عادل محمود بدر(الدكتور)،
الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.

المراجع العربية:

١٠- إبراهيم إبراهيم ياسين (الدكتور): تجديد الرياضيات الروحية ومجاهدة النفس في
التصوف الإسلامي، الناشر عامر، المنصورة، ١٩٨٩م.

١١- _____: مدخل إلى التصوف الإسلامي، مكتبة الإسراء، طنطا، ٢٠٠٥م.

١٢- أبي ذر القلموني: ففروا إلى الله، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الجيزة، ١٤٠٤هـ.

١٣- حسن محمد الشرقاوي(الدكتور): نحو علم نفس إسلامي، الهيئة العامة للكتاب،
الإسكندرية، ١٩٧٦ م.

١٤- سعيد حوي: تربيتنا الروحية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

١٥- عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة،
الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

١٦- عبد الكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، مكتبة
وهبة، دار غربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

١٧- فوزي محمد أبو زيد : الفتح العرفاني، دار الإيمان والحياة ، القاهرة، الطبعة الأولى،
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٨ - محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، الجزء الأول، دار الشروق، القاهرة، الطبعة

السابعة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٩ - محمود حمدي زقزوق: الإنسان في التصور الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون

الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية، العدد (١٥٤)، القاهرة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٢٠ - نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين: التأصل والتنظير في دراسات نيكلسون للتصوف

الإسلامي، مكتبة الإسراء ٢٠٠٧ م.

المراجع الأجنبية:

(1) Imam Harith al Muhadibi ; Imam Zaid Shakir (translator);
Publisher: New Islamic Directions (2008) page:249 Binding: paper
back.

(2) Translated in Suleiman Ali Mourad, Early Islam between myth and
history (Bill,2006) 128; from Khalwa, 24.

Mourad 128-9 cites Ibn Abi'l- Dunya Dhamnal- dunya, 146# 341; Ibnal
-Arabi quotes from that (hide).

(3) From wikipedia , the free encyclopedia for the influential Egyptian
Islamic scholar who lived from 1917-1996, see Mohammed al- Ghazali
(Algazel).